درس: روافد الأدب المقارن

الروافد أو الوسائط هي الوسائل العملية على انتقال الآداب، وهذا الوسيط قد يكون كتابا، أو أي مطبوع آخر، أو مؤلِفا...وغيرها.

أ. الكتب

تضطلع الكتب بدور هام في نقل الأفكار وإشاعتها بين لغة وأخرى، فالاطلاع عليها يمكن من تحديد اتجاهات العصر وما ساده من تيارات أدبية، كما يمكن من الكشف عن قابلية الأمة لتذوق تلك التيارات وأسبابها الاجتماعية والثقافية، وما أدلى به المؤلف نفسه عن ثقافته وجوانبها، وتأثره بكاتب ما، أو بثقافة بلد بعينه، وهي تصريحات يجب أن تخضع للشك والنقد المنهجي، فقد يرسل بها صابحها ادعاء ليوهم غيره أنه عالمي الثقافة، مثل زعم الكثير من أصحاب الشعر الحر على امتداد العالم العربي أنهم تأثروا بالشعر الإنجليزي، كما أن الصمت ليس حجة على أن الكاتب لم يتأثر بغيره، فقد يؤثر المتلقي أن يمر دون إشارة إليه، لاعتبارات شخصية أو نقدية، كأن يكون ذا شهرة، أو ليوهم أنه أصيل في إبداعه تماما.

أ. الترجمة

الترجمة هي نقل نص من نظام لغوي إلى نظام لغوي آخر، تسمى اللغة التي ينقل عنها النص لغة المصدر أما اللغة التي ينتقل النص إليها تسمى لغة الهدف، إن الترجمة حقل معرفي مشترك تهتم به علوم متعددة، كعلم اللغة، وعلم الأسلوب، غير أن اهتمام الأدب المقارن بالترجمة يختلف لأن الأدب المقارن، يتوقف عند الترجمة من حيث طبيعة تجسيدها للعلاقة بين آداب قومية متعددة، ويهتم بالمترجمين لأنهم وسطاء أو جسور تتحقق بوساطتهما عملية التبادل الثقافي.

أ. العمل المترجم

تتوقف الدراسات المقارنة عند ماهية النص، فتدرس بنيته ومضمونه والسياق الذي ولد فيه، وأهميته، ثم تسعى لتعليل اختياره للترجمة، وتحاول أن تضع أسبابا لذلك، فقد تكون الأسباب نابعة من العمل، وربما تكون نابعة من شهرة صاحبه، أو من أحداث طارئة لفتت الأنظار إليه.

ب. المترجم

تهتم الدراسات المقارنة بالناقل من حيث ثقافته، وتوجهاته الفكرية ومقدرته اللغوية في مجال اللغة المصدر، واللغة الهدف، وترى الدراسات المقارنة أن الترجمة، لون من ألوان تفسير العمل الأدبي، لأن على المترجم أن يكون قادرا على تفهم النص، وتذوقه، وتفسيره، كما أن عليه أن يستوعب ما في لغة النص من دلالات متعددة.

أدرك العرب أهمية الترجمة فوضعوا لها شروطا هذا ما نجده عند الجاحظ يقول:"ولابد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة، في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها حتى يكون فيها سواء وغاية".

الترجمة نوعان:

أ. **ترجمة لفظة بلفظة:** وهي طريقة رديئة

ب. **ترجمة معنى بمعنى:** أن يأتي المترجم بالجملة فيحصل معناها في ذهنه، ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها سواء أتساوت الألفاظ أم خالفتها. هذا ما جعل ترجمة الشعر أصعب طريقة لأنه عند الترجمة يتقطع نظمه، ويبطل وزنه، ويذهب حسنه، على خلاف الكلام المنثور، فقد ترجمت العديد من الأعمال النثرية أمثال:"كليلة ودمنة" و"ألف ليلة وليلة".

ب. الرحالة وأدب الرحلات

إذا كانت الترجمة تجسد لونا من ألوانا هجرة النص، فإن الرحلة تمثل انتقالا حقيقيا من موطن إلى آخر، أما بالنسبة للأدب المقارن فإن الرحلات تسهم في تشكيل الصورة أي صورة الأمة في أدب أمة أخرى، وهي تكشف عن طبيعة العلاقة التي تسود بين الأمم والشعوب، فلا شك أن حالة العداء تخلق للآخر صورة سلبية. أما حالة الإعجاب فتثير صورة إيجابية مشرقة التي صدر عنها ذلك التصور.

أ. الصورة السلبية

مثل الرحلة التي قام بها إدوارد لين إلى مصر فوصف في كتابه:"عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم" أن الشرق مملوء بالظواهر الشاذة التي ليس بمقدور اللغة أن تعبر عن بعضها لأنها غاية في المجون والعنف.

ب. الصورة الإيجابية

مثلما فعل الطهطاوي بعد أن أقام في باريس كتب كتابه:" "تخليص الإبريز في تلخيص أخبار باريز" رابطا بينها وبين الجنة، وفكرة التقدم، وهي مهد المعارف...